إيرونيك، العدد 58، 6 فبراير2024
www.lacan-universite.fr

الموضوع وعلاقته بالقلق

-فريديريك بوفيه -

بالنسبة ل فرويد، فقد تم فقدان الموضوع l objet . ففي نصه « مقدمة في علم النفس العلمي »[1]، سيكون أول موضوع للطفل مرتبطًا بتجربة أساسية للإشباع التي ستترك آثارًا ذاكرية Traces mnésiques. لكن هذا الوقت لا يدوم. في محاولة لتعويض فقدان هذه اللحظة الأولى من الإشباع، ستَكُون هلوسة الموضوع hallucination de l objet

استجابةً مِن الطفل. يوضح فرويد أن « الذكرى الأولية للإدراك هي دائمًا هلوسة ». من أجل الخروج من هذا الوضع، يبحث الطفل عن موضوع جديد للإشباع، ثم موضوعٍ آخر. لقد تمّ تفسير هذه الفكرة الفرويدية غالبًا على أنها حنين يدفع الذات، في حالة بحث مستحيلة، إلى البحث عن هذا الإشباع الأول المفقود:

« يشير فرويد إلى أن الموضوع يتم استيعابه من خلال البحث عن الموضوع المفقود. هذا يتوافق مع مرحلة متقدمة من نضج الغرائز، هو موضوع تمّت استعادته / إعادة retrouvé العثور عليه، الموضوع الذي تم العثور عليه من الفطام الأول، هو الموضوع الذي كان في البداية نقطة الارتكاز لأول تجارب إشباع الطفل. [...] هناك حنين يربط الذات بالموضوع المفقود و مِنْ خلاله يُمارِس كل جهد البحث. إنه [الحنين] يميِّز استعادة علامةِ تكرارٍ مستحيل، لأن الموضوع ليس هونفسه، ولن يكون كذلك. الأولوية لهذه الجدلية تضع في مركز العلاقة بين الذات و الموضوع توترًا جوهريًا، مما يجعل ما يُبحث عنه ليس هو نفسه ما سيتم العثور عليه. [2]»

عند ملاحظة حفيده (إرنست)، يلاحظ فرويد أنه، من خلال رمي الأشياء بعيدًا عنه، يشعربمزيد من اللذة plaisir

عند رميها خارج إطارنظره - لا سيما بكرةٍ خشبية بها خيط مربوط حولها - أكثر من رؤيتها تظهر مرة أخرى. أثناء غياب والدته، يلعب (إرنست) أيضًا في إظهار وإخفاء صورته في المرآة.

كان يُظهِر نفس الوحدات الصوتية، تمامًا كما في حركة بَكرة الخيط.

phonèmes : "Aaa" و "Ooo".

---

[1] Freud S. “Esquisse d’une psychologie scientifique”, Naissance de la psychanalyse, Paris, PUF, 1996, p. 356.

[2] Lacan J., *Le Séminaire*, livre IV, *La relation d’objet*, texte établi par J-A. Miller, Paris, Seuil, 1994, p. 15.

هذه اللعبة، Da Fort - تُدخِل الطفل إلى اللغة، إلى المجال الرمزي من خلال هذا الثنائي الدلالي « Da -Aaa » و « Fort - Ooo » فلا يمْكِن أنْ يكُون أحدهما بدون الآخر. ما يهُم، هو هذا التناوب الدلالي الذي [تنخرط به]، على المستوى الرمزي، [مسألة] الغياب والحضور.

عندما يكون الموضوع حاضراً، ينحي الطفل به جانبا قائلاً :Fort، ثم يناديه ب : Da عندما يغيب.

منذ بداية تدريسه، يميز لاكان نفسه عن النظرية الفرويدية من خلال فرضية اللاوعي « المبني كلغة »[3]. فالبداية هي أنَّ الموضوع دائمًا مفقود. و لا يُفهَم كموضوع إلا على أنه نقص، و الذي يكُون دالُّه هو الفالوس. لقد قام لاكان بتغيير مفهومه لمرحلة المرآة stade de miroire ، التي هي عندئذٍ "علاقة بالموضوع. إنها علاقة فردٍ بموضوعٍ تخيُّلي هو جسده. [هو] يعتبِر [...] الفالوس [...] كأهم موضوع نرجسي"[4]. سيقوم بتنظير الاستعارةالأبوية

métaphore paternelle

التي تضع الفالوس على المحك، بمعنى دلالةِ رغبةِ الأم [كما تقدمها] للطفل.

إذا كان في هذه المرحلة الأولى من تدريس لاكان يبدو أن كل شيء له مدلولية، فإن مفهوم القلق يمثِّل، كما هو الحال مع فرويد، قفزة نظرية حاسمة. في النظرية الفرويدية الأولى، يميل الجهاز النفسي نحو التوازن، "له ميل للحفاظ على أقل كمية ممكنة من الإثارة الموجودة فيه أو على الأقل للحفاظ عليها ثابتة"[5]. عندما ينكسر هذا التوازن عند ظهور الدافعية pulsion ، يحدث فائض من الإثارة الغرائزية excitation pulsionnelle، [و يكُون] سبباً للقلق. لا يمكن للجهاز النفسي حينها أن يقوم بترميز كل الدافعية، ولا بإيجاد تمثُّلٍ représentation أو حلٍّ لها. تتحول اللبيدو حينها إلى شعورٍ بالقلق. أمام هذا المطلب الغرائزي exigence pulsionnelle ، يكون الأنا في حالة من اللاحولَ

. détresse / [sans recours]

لقد حافظ فرويد على نظريته الأولى لغاية فترة كتابته لنص « الكبح، العرض والقلق »

Inhibition, symptôme et angoisse

يظهر الأنا عندئذٍ كمكان للقلق. هذا الأخير هو إشارة لأنا الذات. على سبيل المثال، في الفوبيا، « الأنا قد تعرَّف على خطرِ الخصاء، فيقوم بإعطاء إشارة القلق ثمَّ بالكبح من خلال جهاز اللذة- الألم déplaisir - plaisir ‘instance l. في الوقت نفسه، تتكوَّن الفوبيا. فيتلقى قلقُ الخصاء

---

[3] Lacan J., « Fonction et champ de la parole et du langage en psychanalyse », *Écrits*, Paris, Seuil, 1966, p. 269.

[4] Miller J-A, Le cas Sandy selon Jacques Lacan", Bulletin du groupe Petite Enfance (Cereda), N•6| 7, septembre 1995, p.9.

[5] Freud S., « Au-delà du principe de plaisir », *Essais de psychanalyse*, Paris, Payot, 1981, p. 51.

موضوعاً آخر وتعبيرًا خاطئاً: أن يُعَضّ [الطفل] من قِبل الحصان (أو يُلتهَم من قبل الذئب) بدلاً من أن يُخصى من قبل الأب »[6].

في « السيمنار الرابع »، [يشير لاكان] إلى أنّ للخوف موضوعا، بينما القلق يكون بلا موضوع. [في حالة الخوف المرَضي / فوبيا الصغير]هانس يتجلّى عدد من المواضيع كترقيمات ponctuations و إشارات، وهي ترسُم بهذا حدوداً [لشعور القلق]، حيث في هذا الوقت، لا زال توضيح و تسمية الواقعي le réel[شيئاً] ممكِناً. سيوضح لاكان بعد ذلك أن هذه الحدود بين القلق والفوبيا ليست هي الجوهر. فعندما يتحدث [الصغير]هانس عن خيول القلق، يشير لاكان إلى أنه ليس القلق الذي يشعر به أمام الخيول، ولكنه الخوف من شيء يمكن توضيحه. في "الندوة العاشرة"، يوضح لاكان أن حذف « ‘l haufhebung»[7] القلق بواسطة الفوبيا لا يلغي القلق بالكامل. هناك بقايا. يشير هانس إلى أنه أمام فم الحصان، كما لو كانت هناك بقعة سوداء. هذه الأخيرة، هذا المتبقي،
هو الذي يهُمّ لاكان ليجعل منه الموضوع *a*

فهناك بقايا في الواقعي، متعة لا يمكن تلاشيها / امتصاصها عبر الدال. عندما يركِّز لاكان على حقيقة أن القلق ليس بلا موضوع، فهو يشير إلى أنه مرتبط بالموضوع *a*، سبب الرغبة cause du désir.

فلكي يكون للشخص رغبة، من الضروري أن يكون هناك شيء ينقصه ويكُون بهذا سبباً في رغبته. القلق ليس إشارة لنقص، بل « عيب في الدعم الذي يعطيه النقص »[؛] ليس الحنين إلى ثدي الأم الذي يسبب القلق، بل قرْبه[.] ما هو أكثر إزعاجًا للطفل هو بالضبط عندما تكون العلاقة التي يتأسس عليها، من النقص الذي يجعله يرغب، مضطربة [...] عندما لا يكون هناك إمكانية لنقص [ما]، عندما تكون الأم دائمًا وراء ظهره »[8].

إنَّ الابتكار الذي قدَّمه لاكان في "الندوة العاشرة" هو انقسام / [النقص في] الآخرالكبير، الناتج عن تساؤلٍ [تطرحه] الذات. الرسم البياني لانقسام الآخر الكبير، هو بمثابة مسودّة لما سيتابعه في السنة الموالية، في "الندوة الحادية عشرة"، عبر مفهومي الاستلاب والفراق.

إنَّ المواضيع *a* تُبرِز انقسام الذات. هذه الأخيرة، تريد أنْ تحتفظ بالآخرالكبير غير مخصي وذلك بفضل توهُّم مواضيع الهوام fantasme. يأتي هذا الأخير إذًا ليحجُب الواقعي ويدعم الرغبة. فالوظيفة المقلقة [التي تشكِّلها] رغبة الآخرالكبير، ترتبط بكَوْن الذات لا تَعرِف

---

[6] Freud S., Inhibition, symptôme et angoisse, Paris, PUF, 1993, p. 40.

[7] suppression et élévation تقترح الكاتبة ما يقابل الحذف و الرفع

[8] Lacan J., *Le Séminaire*, livre x, *L'Angoisse*, texte établi par J.-A. Miller, Paris, Seuil, 2004, p. 67.

أي موضوع *a* هي بالنسبة للرغبة[9] [رغبة الآخر الكبير]. من ناحية أخرى، إذا كانت رغبة الآخر الكبير تثير القلق، فإن طلبه يهدّئ لأنّ الذات، في هُوامِها، يُمْكِنها أن تتخيل ما يريده[10] الآخر الكبير.

طوال « الندوة العاشرة » حول القلق، كان السؤال هومعرفة مِنْ أيّ جانب هو الموضوع *a* هل هومِنْ جهة الذات أمْ مِنْ جهة الآخرالكبير؟ يقوم لاكان ببلورة القلق كذلك العامل الذي يسمَح لـ[ما يسميه Das ding / الشيء] أنْ يأخذ شكل الموضوع *a*. ففي العصاب، تُموضِع الذات في الآخر الكبير، الموضوعَ المفقود، [ذلك ال]جزء [ال]مفقود من نفسها والذي سيؤسِّس هوامَها من خلال هذا الاستخراج extraction

الأول للموضوع و تحويله إلى الآخرالكبير. يتموقع القلق في « الفجوة ما بين الرغبة إلى المتعة »[11]. و [هكذا] « لا توجد إشارة للقلق إلا مِنْ حيث أنه يتعلق بموضوع الرغبة، مِنْ حيث أنَّ هذا الأخير يزعج بالتحديد الأنا المثالي i (a) ، الذي ترجع أصوله إلى الصورة المرآوية image spéculaire »[12]. [هنا] لا يتعلق الأمر بإعادة القلق إلى [نقطة] الصفر، بل باستخدامه كإشارة للواقعي، كعلامة لحضورٍ قوي للموضوع *a* .

في الإشارة إلى الفوبيا، يوضِّح لاكان أنها ليست وحَدة إكلينيكية، بل « حلقة محورية » [13]، ملتقى طرقٍ لثلاث بنيات إكلينيكية : العصاب، الذهان والشذوذ perversion ,psychose , névrose

قد يحدُثُ و يتحوّل موضوع فوبيا الطفولة في سن البلوغ إلى موضوعٍ صنَمي fétiche أو أنْ يؤدي اختفاء الفوبيا إلى ظهور الذهان. يتطلب الأمرالحَذَر. ال « وظيفة الحقيقية للفوبيا [...] هي استبدال الموضوع الذي يسبب القلق بدالٍّ مخيف »[14]، غالبًا ما يكون حيوانًا بالنسبة للأطفال. بالنظر إلى اللغز الذي [يشكله] القلق، فإن علاقة الخَطَر التي يُشير إليها، تصبِح مُطَمْئِنة عندما تتِمّ موضعَتها / تحديدها localisée.

فالفوبيا هي عرَضٌ يأتي لتحديد المتعة من خلال تسمية موضوعٍ ما؛ هي أيضًا تَجنُّبٌ لقلقٍ مُبهَم. يشير سيرج كوتيه إلى أن فوبيا الطفل هي دفاعٌ ضد الرغبة الأمومية الغامضة التي لمْ يتمّ التعبير عنها بشكل كاف عن طريق الاستعارة. وبالتالي، فإنّ "الكلب الذي يعض أو الذئب الذي يلتهم يحوِّلان قلقًا لا يمكن تحمُّلُه إلى خوفٍ موضِعي [الذي يَظهر بعد ذلك كـ] حل مؤقت لـ [...]

---

[9] Cf. *ibid*., p. 376.

[10] Cf. Miller J-A., « L'orientation lacanienne. Jalons dans l'enseignement de Jacques Lacan », enseignement prononcé dans le cadre du département de psychanalyse de l'université Paris 8, leçon du 20 janvier 1982, inédit.

[11] Lacan J., *Le Séminaire*, livre X, *Op-cit* p. 204.

[12] Lacan J., *Le Séminaire*, livre VIII, *Le Transfert*, texte établi par J.-A. Miller, Paris, Seuil, 2001, p. 428.

[13] Lacan J., *Le Séminaire*, livre XVI, *D'un Autre à l'autre*, texte établi par J.-A. Miller, Paris, Seuil, 2006, p. 307.

[14] نفسه

الخصاء الأمومي »[15]، ذلك أنَّ إسم الأب لا يكفي لامتصاص كل المتعة الأمومية. و هكذا فإنَّ الطفل يحاول ترميز و تأويل تلك المتعة الغامضة.

إنَّ استحالة الانفصال عن أمه يثير قلق الصغير هانس : « الأمر يتعلق أكثر باستحالة الانفصال عن شيء موجود في لحظات القلق هذه، وهو في النهاية، في النظرية الفرويدية، الآخر الأمومي؛ الآخر الكبير كرغبةٍ للأم. فما توضحه لنا حالة الصغير هانس هو أن القلق الذي يمرّ به، ليس القلق الناتج ببساطة عن الانفصال أو النقص، بل عن صعوبة ترميز هذا النقص؛ أي صعوبة الانفصال عن الآخر وترميزه كغائب »[16].

فإذا كان القلق لا يخدع [كما يقول لاكان]، فذلك لأنه يطرح سؤال الرغبة. فهو ينبعث عندما لا نعرف ما يريده الآخرالكبير منا؛ ومن هنا يأتي الجَزْم بأن القلق « ليس بلا موضوع [17]». بأيامنا هذه، العديد من الاستشارات النفسية تتعامل مع اقتحام الموضوع a مجال التخيلي، الرمزي والواقعي. فالمتعة تتولى زمام الأمورعبر مواضيع الحضارة التي تأتي لتعوِّض النقص. يعود الأمر إلى المحلِّل لتقليص هذه المتعة الكبيرة.

إشراق العود

الرباط 2025

---

[15] Cottet S., “OPNI, Objets phobiques non-identifiés”, in Roy D. (s/dir.), *Peurs d’enfants*, Paris, Navarin, 2011, p. 119.

[16] Bassols M. “L’Angoisse, ses objets et la réponse du psychanalyste”, Pont freudien, février 1999، publication en ligne.

[17] Lacan J., *Le Séminaire* L’Angoisse, op.cit., p. 119